

# مهرجان روتردام يفتح ملف سينما ما قبل الثورة الإسلامية

## «فيلمفارسي» و«النساء حسب نظرة الرجال» فيلمان عن قمع المرأة في إيران



المرأة كمخرجة سينمائية في إيران الماضي



من «فيلمفارسي» كيف كانت تبدو المرأة الإيرانية

المنظية التجارية ويرد نفس ما يتردد في فيلم «النساء حسب نظرة الرجال»، أي أن هذه الأفلام كانت تصور الجنس والعنف والمخدرات والجريمة، ولم تكن لها قيمة فنية!

**«فيلمفارسي» يعقد مقارنات ذكية بين ماضي السينما الإيرانية وحاضرها، عبر نظرة مشبعة بالحنين والحب**

ولم يكن ما قاله بالطبع مفاجئا لى كونه صدر عن مسؤول رسمي في الدولة يتمتع بما لا يتمتع به المواطنون الإيرانيون العاديون البسطاء أو السينمائيون الراغبون في تجاوز قيود الرقابة.

ورغم أن الفيلم الذي أشرت إليه بيدن بشكل واضح، أفلام ما قبل الثورة إلا أنه في الوقت نفسه، يعترف بأن هناك من نجوم السينما الإيرانية ومشاهيرها من أرغم على التوقف عن العمل. ومن بين هؤلاء ممثلة انتحرت. أما النجمة الشهيرة بوري بانياي التي قامت ببطولة 85 فيلما، فقد توقفت تماما عن العمل بعد 1979، وظهرت ككومبارس صامتة في لقطة واحدة من فيلم «تسرين» لعباس كيروستامي (2008).

وغادرت الممثلة شهيرة أغداشلو إيران إلى لندن ثم إلى الولايات المتحدة حيث عملت في إيران بعد ثورة الخميني إلى السويد، وغبرهن كثيرات، بل وغادر أهم مخرجي إيران محسن مخملباف البلاد لكي يتمتع بالحرية حيث يقيم مع عائلته في فرنسا.

الفيلم من إنتاج شركة خاصة إيرانية بالتعاون مع أرشيف السينما في إيران، أي أنه أنتج بمباركة السلطة الرسمية. وقد ذكرني الفيلم الذي شهد مهرجان روتردام عرضه العالمي الأول، بحوار دار بيني وبين الممثل الإيراني الشهير أحمد نجفي في عام 2012 عندما تزامنا في عضوية لجنة تحكيم مهرجان طهران للأفلام التسجيلية والقصيرة.

كان أحمد نجفي (مواليد 1948) من كبار نجوم السينما في إيران. وقد وجدته مفتتحا، وعلمت أنه درس في الولايات المتحدة، وأخبرني أنه متزوج من أوكرانية، وأنه يتمتع بحرية السفر للخارج، وكان يدخن كثيرا ويتحدث كثيرا، ويلقي بالنكات، على العكس من زميله في اللجنة، الذي كان مخرجا إيرانيا شديدا التزامت يميل إلى التشكك في الغرباء بشكل عام.

### هروب جماعي

سالت أحمد نجفي عن الرقابة على السينما، وقلت له إن السينما لكي تكون «طبيعية» يجب أن تتضمن أنواعا مختلفة من الأفلام، وليس نوعا واحدا، وأنه لا يجب أن تخضع لمعايير «أخلاقية»، وذكرته بالسينما الإيرانية القديمة في زمن الشاه التي كانت تتمتع بالحرية في التعبير وبالسينمائيين الإيرانيين المرموقين أمثال مسعود كيميائي وسهراب شهيد سالاس ودريوش مهروجي وبهرام بيزالي.

وقد انبرى أحمد نجفي الذي أصبح من «أهل الثقة» وتولى منصبا رسميا، بدافع بشدة وحماسة عن الوضع السيئ في إيران، ويبدو تقززه ورفضه للأفلام الإيرانية التي كانت تصنع قبل الثورة، وبتهمها بالتعفن والسقوط في

دراساته السينمائية وحصل على درجة الدكتوراه في السينما عام 2013 وعاد إلى إيران. وقيلمة التسجيلي الطويل الأول هو خلاصة مشاهدة مئات الأفلام الإيرانية القديمة الممنوعة تماما في إيران منذ الثورة الإسلامية، ومن واقع المتوفر على شرائط الفيديو وقد شاهد نحو 10 آلاف ساعة، تمكن من إعداد فيلمه الذي يؤنق لصورة المرأة في السينما التجارية. ورغم أنه أجرى مقابلات مع عدد كبير من السينمائيين الذين عملوا في السينما في إيران، إلا أن فيلمه يخلو من المقابلات المصورة ويعتمد على التعليق المباشر بصوته.

الفيلم يقدم صورة شديدة السلبية عن الأفلام التجارية الشعبية الإيرانية، فهو من البداية يتعامل معها من منطلق رصد النظرة الذكورية لصانها «الرجال» إلى المرأة الإيرانية، فهو يختار مشاهد محددة قصيرة من 120 فيلما تصور 70 موضوعا تتعلق بالمرأة منذ بدايات السينما الناطقة في إيران، إلى حين توقف هذه السينما عام 1979 بموجب التعليمات التي أصدرها الخميني بأن السينما يجب أن تعكس قيم المجتمع الإسلامي، وفرضت بالتالي رقابة مشددة على الإنتاج الإيراني وعلى جميع الأفلام الأجنبية التي يتم استيرادها.

لكن الفيلم لا يقول ذلك، ولا يبدو تقديرا كما يتوقع المرء، بل يميل إلى عرض صورة لماضي السينما الإيرانية لكي يدين نظرتها المتدنية للمرأة حسب رأيه. يصور الفيلم خلال استعراض صورة المرأة، أفلام الماضي التجارية، كيف كانت تمتلك بالقصص المبلورامية والمطاردات وجرائم القتل والمخدرات والجنس والعنف والزواج القسري والحمل والإجهاض وتمزق المرأة الإيرانية بين الحداثة والتقاليد.

المخرجون الإيرانيون واطلقوا عليه أفلام «الجاهل» JAHILI. أو الرجل الخشن الغليظ العنيف ولكن طيب القلب، الذي يتشاجر في الملاهي الليلية في تنافس على قلوب المغنيات والراقصات، لكنه يرغب في تخلصه من نمط الحياة المتدني في هذه الأماكن والنجاة بهن من الاشرار. وهي «ثيمة» كانت موجودة أيضا في الأفلام المصرية في الخمسينات.

ويتوقف الفيلم أمام ظهور المرأة غير حجاب أو غطاء الرأس والتخلص من الشادور التقليدي بعد صدور قانون في زمن الشاه الأول رضا شاه، عام 1936 عرف بقانون «كشف الحجاب» يحظر ارتداء الحجاب. ونرى انعكاس هذا على عدد من الأفلام.

ويتوقف «فيلمفارسي» أيضا أمام ظاهرة تركز هذا النوع من الأفلام في المدن الكبرى، ونهب الفتيات من الريف إلى المدينة للبحث عن العمل، ويصور المدينة مكانا حديثا عصريا، يعج بالأماكن الجذابة، وهي صورة كانت تتسق مع الرغبة الرسمية في الترويج للحداثة التي أدخلها نظام الشاه إلى إيران.

ومن أهم ما يذكره الفيلم ويدلل عليه بالصور، ما تعرض له الكثير من السينمائيين بعد الثورة الإسلامية من تعنت وعنف، فبعد وصول الخميني للسلطة في 1979، نشرت الصحف القومية في إيران استدعاء يطالب العاملين في صناعة الأفلام الشعبية الإيرانية (فيلمفارسي) ونجومها المشهورين، بالمشول أمام محكمة ثورية للتحقيق معهم. وقد صدرت عليهم أحكاما بالمنع من العمل وتعرض البعض منهم للسجن.

### نظرة سلبية

أمام هذه النقطة تحديدا يتوقف الفيلم الثاني «النساء حسب نظرة الرجال». وهو ينقسم إلى أقسام عدة تحمل عناوين مختلفة، كلها تعبر عن النظرة السلبية لصان السينما للمرأة: كام أو كزوجة مغلوبة على أمرها، أو كعاهرة، أو كقروية باحثة عن العمل في المدينة، أو كام يجب أن تبقى في المنزل ترعى الأبناء.. وغير ذلك من الصور النمطية التي يستعرضها ويعلق عليها من خلال مقاطع من 120 فيلما من الأفلام الإيرانية التي لم يعد لها وجود، فالفيلم يعترف بان النظام الإيراني الجديد الذي استولى على السلطة في 1979، قام بحرق وإتلاف مئات الأفلام. ويتوقف في البداية أمام صورة تظهر على الأفلام التي يعولها الصدا، ويذكر أنه استعان بالكثير من شرائط الفيديو من نوع VHS التي طبعت عليها هذه الأفلام.

مخرج الفيلم هو سعيد نوري، من مواليد 1974، درس السينما في جامعة طهران، ثم ذهب إلى فرنسا حيث واصل

من الأفلام التي عرضت في الدورة 49 من مهرجان روتردام السينمائي، شريطان من الأفلام التسجيلية الطويلة يشتركان في كونهما يهتمان بصناعة السينما الإيرانية في زمن الشاه، أي قبل انقلاب الخميني الذي يعرف بـ«الثورة الإسلامية» عام 1979 الذي غير وجه السينما الإيرانية وفرض عليها رقابة صارمة.

### أمير العصري

كاتب وناقد سينمائي مصري



خوشباخت اختار لفيلمه اسم «فيلمفارسي» في كلمة واحدة، كوصف معبر عن السينما التجارية أو الأفلام الشعبية الرخيصة التي تشبه أفلام «حرف ب» التي كانت تنتج في هوليوود أو في مصر في زمن القطاع العام السينمائي في الستينات، وهي تصور عادة قصصا ميلودرامية تمتلك بالمبالغات والجريمة والعنف ومشاهد الرقص وقصص الحب والخيانة والشرف، وتصور المرأة في صورة نمطية.

### أفلام النوع

يعرض الفيلم نماذج عديدة من هذه الأفلام، التي مضت وأصبحت أيضا تحاكي الكثير من أفلام «النوع» في السينما الأميركية والإيطالية والمصرية بل وسينما هوليوود أيضا. فلم يكن المخرجون يعرفون حدودا، بل صنعوا أفلاما على شاكله أفلام الويستن الأميركية، واقتبسوا القصص من هوليوود واستعانوا بالموسيقى الأصلية من أفلام سيرجيو ليوني، وخلقوا أنماطا من الممثلات والممثلين كابطل لتلك الأفلام بحيث تحاكي أبطال الأفلام الشعبية في سينما الغرب، واستعانوا بالرقص الشرقي في مشاهد تدور في علب الليل والكباريات على غرار الأفلام المصرية.

إن «فيلمفارسي» بشكل عام، ينسئ تلك السينما الغارية التي كانت مزدهرة، والتي رغم كل ما يمكن أن يقال عن نمطيتها، كانت تعكس أنماط الحياة في المجتمع الإيراني، بل وكيف أصبحت المرأة قادرة على تأكيد حضورها، والتعبير عن قوتها، وكيف كان الرجال يستغلونها ويميلون لرفض السيطرة عليها أو حتى المساعدة في إنقاذها من السقوط في هذة الخطيئة من خلال النوع السينمائي الذي ابتكره

«فيلمفارسي» للمخرج إحسان خوشباخت، و«النساء حسب نظرة الرجال» للمخرج سعيد نوري. فيلمان يكشفان لنا التجربة الكبيرة للسينما الإيرانية العريقة التي قضي عليها أن تبقى «خلف الحجاب»، بسبب القواعد الرقابية الصارمة التي فرضتها سلطة رجال الدين منذ الإطاحة بنظام الشاه، وتأسيس نظام دكتاتوري كاد يقضي على صناعة السينما، بل واضطهد السينمائيين ووقع الكثيرين منهم، إما إلى الهجرة للخارج، وإما التوقف عن العمل في الداخل.

هناك علاقة وثيقة بين الفيلم، فكلاهما يعتمد على مقاطع كثيرة من الأفلام الإيرانية التجارية التي أنتجت في إيران في الماضي. الفيلم الأول يُحسر في تاريخ السينما الشعبية الإيرانية منذ أول فيلم إيراني ناطق عام 1932، والفيلم الثاني يركز أكثر على الأفلام التجارية من الخمسينات إلى نهاية السبعينات.

### حنين إلى الماضي

مخرج فيلم «فيلمفارسي» إحسان خوشباخت باحث وسينمائي ومؤسس مهرجان للأفلام الكلاسيكية، من مواليد 1980 ويقيم في العاصمة البريطانية. ويعكس فيلمه بالتالي تحززه من سطوة النظام، وتقديمه لأفلام الماضي التي كانت تحظى بشعبية كبيرة، من خلال نظرة مشبعة بالحنين والحب والتقدير، بل إنه يعقد أيضا مقارنات ذكية بين ماضي السينما الإيرانية وحاضرها، ويتوقف أمام ما يطلق عليه «الشيزوفرينيا» أو حالة الغصام التي صبغت المجتمع الإيراني لسنوات طويلة في عهد الشاه الثاني، محمد رضا بهلوي، الذي أدخل الحداثة الأوروبية إلى البلاد، وكيف أن المجتمع كان يفرغ في الحداثة ويستمتع بكل مزاياها، ولكنه كان في الوقت نفسه، حسب الصورة التي يقدمها إحسان خوشباخت في فيلمه، يرد عليها وينكص على عقبيه وأرضا إياها، وهو ما يرى إحسان أنه أتاح أرضية لما حدث في ما بعد بالفعل، وتمثل في التخلي الجماعي عن مظاهر الحداثة وعودة المرأة إلى الشكل الريفي.

**بعد صعود الخميني إلى سدة الحكم غادرت الممثلة شهيرة أغداشلو إيران إلى لندن ثم إلى الولايات المتحدة حيث عملت في هوليوود**



ورغم أنه يلمس فكرة الاستعداد المجتمعي للتكوص عن الحداثة والذي سمح بتقبل فرض نمط حياة مختلف بعد قفز الخميني وزمرته على السلطة، إلا أنه لا يتجاهل الفرض والجبرية والاضطهاد والترويع الذي وقع على نجوم السينما ومخرجيها وفي مقدمتهم أشهر الممثلات، فقد تمّ منعهن من العمل، وحوكم البعض الآخر، وسجن، كما دفع بعضهن إلى الانتحار.

يصف إحسان خوشباخت ما يصوره فيلمه في مقال نشره بمصحفة الغارديان البريطانية (في 11 يوليو 2019)، فيقول «إنها قصة مأساة، سينمائية وحقيقية. لقد كانت إحدى نقاط التحول في الثورة الإيرانية، ولحظة حاسمة أعلن فيها موت السينما، عندما أشعل الإسلاميون النار في سينما ريكس في جنوب غربي إيران (في ميناء عبان في 18 أغسطس 1978) عندما كانت السينما مليئة بجمهور يشاهد العرض الثاني لفيلم «الغزال» للمخرج مسعود كيميائي، وهو أحد أفضل الأفلام الشعبية الإيرانية وكانت الرقابة قد منعت لفترة من العرض، وقد قتل في الحادث 420 شخصا. ولكن من اليرماذ عادت السينما الإيرانية مجددا».